رسالة يعقوب "الطريق إلى النضج الروحي"

١٧

"أَمَّا أَنَا فَالاقْتِرَابُ إِلَى اللهِ حَسَنٌ لِي" (مزمور٧٣: ٢٨)

يوجه يعقوب دعوة للمؤمنين... ما هي؟ يريدهم أن يتجاوبوا مع صوت الرب لهم بالرجوع إليه ليكونوا في شركة معه، فالله ينتظر أن يسمع من كل واحد منا: "أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي" (لو ١٥: ١٨)، فمحبة العالم تجعل هناك فاصلاً أو مسافة بين الله والناس: ".. آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ..." (إش ٥٩: ٢، مز ٦٦: ١٨). لذا ينبههم قائلاً: "اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ..." (يع ٤: ٨). والسبيل للاقتراب هو دم يسوع لأننا نحن البعيدين قد صرنا قريبين بدم المسيح (أف ٢: ١٣)، إن طلبناه يوجد لنا (٢ أخ ١٥: ٢)، والرجاء الأفضل به نقترب إلى الله، فلنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي (عب ٧: ١٩، ١٠: ٢٢)، "فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ" (عب ٤: ١٦)، نقترب إليه في اسم يسوع بالإيمان، وبكل تأكيد سيسرع للقائنا بتحنن ويركض (لو ١٥: ٢٠)، مبارك الرجل الذي يقترب إلى عرش النعمة بثقة، ومهابة: "وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ" (إر ٢٩: ١٣) "فِي الْقَرِيبِينَ مِنِّي أَتَقَدَّسُ" (لا ١٠: ٣)، "نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ" (يع ٤: ٨).

وكأنه سيوجه حديثه لشخص آخر ولأن الرسالة موجهة إلى اليهود المؤمنين فالتعبيرات التي استخدمها كانت تستخدم عند اليهود للإشارة للتطهر والنقاوة، فغسل الأيادي هو عملة النقاء والبراءة. "اِغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا. اعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ" (إش ١: ١٦)، "اِغْسِلِي مِنَ الشَّرِّ قَلْبَكِ" (إر ٤: ١٤)، "اَلطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ" (مز ٢٤: ٤، حزقيال ٣٦: ٢٥ – ٢٦) وفي العهد الجديد لم يعد الأمر ممارسات طقسية لطهارة الجسد ولكن يقول: "لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ" (٢ كو ٧: ١)، لذا فيعقوب أيضاً ينبه ضمير قارئيه مشيراً إلى مسئوليتهم الشخصية أن يحذروا التلوث بأعمال الظلمة التي تملأ العالم من حولنا، أما

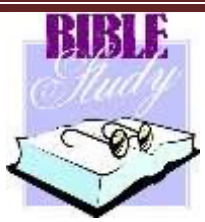

التطهير الداخلي فيصيغه الروح القدس الساكن فينا (١ يو ٣: ٣)، طهروا قلوبكم من محبة العالم وكرسوا نفوسكم لطاعة الله.

ماذا عن ذوي الرأيين: هم من لهم قلب فقلب (مز ١٢: ٢)، أي لهم نفسين، وكيف لأحد أن يخدم سيدين (مت ٦: ٢٤)، إذن يعقوب يطالبهم بحياة القداسة الداخلية، والحياة الشاهدة الخارجية (قلوبكم، وإياديكم).

دعوة للتوبة

"اكْتَئِبُوا وَنُوحُوا وَابْكُوا. لِيَتَحَوَّلْ ضَحِكُكُمْ إِلَى نَوْحٍ، وَفَرَحُكُمْ إِلَى غَمٍّ" (يع ٤: ٩)

أنها تأكيد للكلام السابق، يدعوهم للتوبة العميقة ولا يكتفوا بممارسات كصوم وتذلل ومسح ورماد، فبدون توبة صادقة حقيقية وعميقة لا نتوقع مراحم إلهية تغمرنا: "فَتُوبُوا وَارْجِعُوا.. لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ" (أع ٣: ١٩)، " فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ..." (٢ أخ ٧: ١٤)، ولاحظ معي تعبير "اكْتَئِبُوا" ذكر هذا التعبير مرة واحدة، ويشير لاجتياز ظروف وضغوط صعبة، وأيضاً للشعور باليأس والحزن والخزي بسبب الظروف الخارجية وبسبب الخطية.

أما النوح "نُوحُوا" فهو إظهار الحزن العميق، والعميق جداً، والبكاء "ابْكُوا"هو التعبير عن هذا الحزن الذي يملأ القلب، فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة (تك ٢٧: ٣٤)، ودموع بطرس حين تبع الرب من بعيد، والتقت عيناه بعيني الرب فبكى بكاءً مرًا (مر ١٤: ٧٢) وهنا نفهم دعوة يعقوب لهم بالانتقال للاتجاه المضاد، فبدلاً من محبتهم للعالم والمعبر عنها في سلوكهم ومظهرهم الخارجي يدعوهم إلى تغيير داخلي حقيقي. عوضًا عن مظاهر التقوى التي لا تحمل قوة بين جوانبها ليكون لهم جوهر وعمق الحياة والشركة مع الله "لأَنَّهُ كَصَوْتِ الشَّوْكِ تَحْتَ الْقِدْرِ هكَذَا ضَحِكُ الْجُهَّالِ" (جا ٧: ٦)، وطوبى للحزانى (في نظر العالم) لأنهم يتعزون، "لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ" (٢ كو ٧: ١٠).

اتضعوا قدام الرب فيرفعكم

الله هو الوحيد المرتفع العلي، يستحق ويليق به أن نرفعه، ولكي ترتفع يتحتم أن تتضع أولاً وأعظم مثال لنا هو الرب يسوع، الوديع المتواضع، الذي أخلى ذاته آخذًا صورة عبد... (في ٢: ٨، ٩)، هو الذي يقيم المسكين من التراب ويرفع البائس من المزبلة (مز ١١٣: ٧، ١٤٧: ٦، ١ بط ٥: ٦). الاتضاع عكس اختيار المتكآت الأولى (لو ١٤: ١٠)، وقد علم الرب يسوع تلاميذه درسًا هامًا في الاتضاع حين حدثت بينهم مشاجرة فيمن يظن أنه يكون أكبر (لو ٢٢: ٢٦)، ولهذا لا تستكبر بل خف، لأن الرب عال ويرى المتواضع أما المتكبر فيعرفه من بعيد (رو ١١: ٢٠، مز ١٣٨: ٦). "قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ... وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ" (مي ٦: ٨).

"لاَ يَذُمَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ. الَّذِي يَذُمُّ أَخَاهُ وَيَدِينُ أَخَاهُ يَذُمُّ النَّامُوسَ وَيَدِينُ النَّامُوسَ" (يع ٤: ١١)

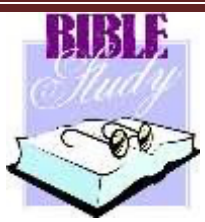

ما هي المذمة؟؟ هي نشر معلومات تحتوي على أخطاء الآخرين، دائماً في غيابهم.

أن تتكلم بخبث، كلما تحط من قدر شخص أمام الآخرين أو محاولة جذب الانتباه لنقط ضعف في الآخرين في غيابهم، هو أن تقلل من صورة حسنة لشخص ما، هي نفس الكلمة المذكورة في (١ بط ٢: ١٢)، "مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ"، هذه الخطية تكشف نقص المحبة تجاه الآخر. وإذا كررها الشخص كثيراً تصير عادة تمتلك الإنسان ثم تقيده. ولأن الناموس يحث ويحرض على المحبة للآخرين "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (غل ٥: ١٤، ورو ١٣: ٨، ولو ١٩: ١٨) "وَاحِدٌ هُوَ وَاضِعُ النَّامُوسِ، الْقَادِرُ أَنْ يُخَلِّصَ وَيُهْلِكَ. فَمَنْ أَنْتَ يَا مَنْ تَدِينُ غَيْرَكَ؟" (يع 4: 12) يُسمى الناموس ناموس الحرية أو الناموس الملكي، الله هو واضع القوانين التي تنسجم معاً، الله قادر على كل شيء فمن أنت يا من تدين عبد غيرك (رو ١٤: ٤).

احذر أن تدين غيرك في قلبك أو بكلماتك فكلمات الرب لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم (لو ٦: ٣٧)

"هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا إِلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ، وَهُنَاكَ نَصْرِفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ" (يع ٤: ١٣)

مرة أخرى تأتي أمامنا صورة لمحبة العالم، يبدو أن كثيرين من الذين أرسل لهم يعقوب كانوا في حياة عالمية متساهلة في جوانب كثيرة وهنا يبدو واضحًا ثقتهم في أنفسهم، دون الاعتماد على الرب. يتحدثون وكأنهم يمتلكون الوقت ويريدون أن يقضوا أيامهم كما يحلو لهم أما كلمة "نَصْرِفُ" معناها أن يسافر لمنطقة يقيم فيها، ونرى أن يعقوب لا يدين العمل نفسه، ولكن اتجاه القلب الذي ينشغل بالأمور الأرضية ويصنع كنزاً حيث يفسد السوس والصدأ (مت ٧: ١٩).

"أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ! لأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ" (يع ٤: ١٤).

تنبيه أن ليس لهم معرفة دقيقة خاصة بالغد "لاَ تَفْتَخِرْ بِالْغَدِ لأَنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مَاذَا يَلِدُهُ يَوْمٌ" (أم ٢٧: ١). لاحظ معي أنه لا يضع نفسه مع هذه الفئة إذ يؤكد على القيمة الغالية لهذه الحياة، نعم حياة الإنسان مثل دخان يظهر قليلاً ثم يتلاشى تمامًا مثل الظل "أَيَّامِي كَظِلّ مَائِل، وَأَنَا مِثْلُ الْعُشْبِ يَبِسْتُ" (مز ١٠٢: ١١)، فالإنسان مثل العشب أيامه، كزهر الحقل كذلك يزهر لأنها ربما تعبر عليه فلا يكون ولا يعرفه موضعه بعد (مز ١٠٣: ١٥، ١٦)، وإما أيوب فيقول: "حَيَاتِي إِنَّمَا هِيَ رِيحٌ" (أي ٧: ٩).

خلاصة القول: حياة الإنسان قصيرة مهما طالت السنين هي شيء مؤقت وغير مضمون.

للدراسة الشخصية:

في الشواهد التالية تحذير من أمر يكلمنا عنه في هذا الدرس، فما هو. ما هي التحذيرات (أف ٤: ٣١، تي ٣: ٢، ١ بط ٢: ١).

"أَيُّهَا الإِخْوَةُ" استخدم يعقوب هذا التعبير مراراً كثيرة ليذكرنا اننا أهل وعائلة بيت الله من الشواهد الآتية تأكيد لنفس المعنى (مت ٢٣: ٨، ٢٥: ٤٠، ولو ٨: ٢١، رو ٨: ٢٩، عب ٢: ١١).

يمكنك ارسال أي مشاركات أو استفسـا رات إلى البريد الالكتروني: sawsanmanse1@gmail.com